



التنشئة الروحية للطفل الجزائري في الكتابيب

حيزية كروش

سنة ثانية دكتوراه

جامعة حسيبة بن بوعلي

كلية الآداب والفنون

القسم: اللغة العربية

الفاعلية في تكوين شخصية مسلمة
لها انعكاسات إيجابية على المجتمع.

الكتاتيب من أهم المؤسسات التي
تعمل على تفعيل التعاليم الإسلامية،
من خلال اعتبار الطفل الوعاء الأمثل
لصب كل الأوامر والنواهي التي أتى بها
الدين الإسلامي، فهي تهتم اهتماما
مباشرا بالتربية الأولية القائمة على
تلقيته كل المبادئ والقيم الروحية
التي من شأنها الحفاظ على الهوية
الإسلامية، وتكريس كل الآليات التي
تضمن نشوء الطفل على مرتكزات
سلمية.

ملخص:

أتى القرآن الكريم مفعما بالآيات
التي تنسج جسور السلم بين الأمم،
وتعبد دروب التعايش بينها، فهو
الدستور الذي حوى بنود الحياة وفق
المجتمع الذي صبت فيه معانيه،
وضبط تفاصيل السلام بناء على
عقليات العرب التي تميزت في تلك
الحقبة بالحمية والعصبية الجاهلية.

تسهم المؤسسات الدينية في تنشئة
الطفل الجزائري، من خلال تزويده
بجملة من القيم الروحية والدينية

في المردود التعليمي جراء عوامل سياسية واقتصادية وسوسولوجية، وأنثروبولوجية...

ارتبطت حركية التعليم بالجزائر منذ عهد قديم بتعليمية اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم في مؤسسات خاصة تشرف عليها السلطة الحاكمة أحيانا ويتولى تسييرها وتمويلها في أحيان كثيرة خواص من أهل الخير و الصلاح، وتنسب أحيانا أخرى إلى الزوايا ورجال الدين.

كان التعليم قبل الاحتلال الفرنسي جد متطور بالجزائر، حيث يتم عن طريق المدارس القرآنية كالمساجد والزوايا... الخ، والذي لعبت دورا مهما في تاريخ التعليم الجزائري.

لكن منذ الاحتلال الفرنسي سنة 1830، قام النظام الاستعماري باستخدام كل سلطاته لمصادرة الأوقاف حتى يصبح التعليم بدون

يقوم المعلم في الكتاب بعدد من الأفعال التربوية التي من شأنها ترسيخ ثقافة السلم والتعايش لدى الطفل الجزائري، فهو يهدف إلى تكوين جيل قادر على بناء حياة سلمية قائمة على دعائم دينية.

الإشكالية: ما هي الكتاتيب؟ وفيما تتجلى فاعليتها التربوية؟ وهل يمكن القول بأن الكتاتيب قادرة على إعطاء القيم الروحية المطلوبة؟

الكلمات المفتاحية: الكتاتيب، الطفل، القيم الروحية، التعليم.

1/الواقع التاريخي للتعليم في الجزائر:

لطالما كان التعليم هو الشغل الشاغل لكل الأمم، حيث عملوا على تطويره وتحسين الطرق المؤدية إلى تكوين حضارة زاخرة بالعلوم، إلا أن البلدان النامية في دول العالم الثالث معروف عنها ذلك التراجع

- التعليم قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر.
- التعليم في عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر.
- التعليم في الجزائر المستقلة.

أصعب مرحلة مر بها التعليم في الجزائر، هي مرحلة الاستعمار الفرنسي الذي اعتمد سياسة احتكارية اضطهادية، تجبر الجزائريين على تعلم اللغة الفرنسية، فالتشريع الفرنسي أصدر قراراً يقضي بتعليم الجزائريين حيث رصدت خمسة مراسيم ومنها مرسوم 8 مارس 1938 القاضي بغلق المدارس العربية الحرة، التي لا تتمتع برخصة ممنوحة من طرف الإدارة الفرنسية وتحديد معاقبة مخالفيها بالسجن، إلى جانب منشور ميشال 16 فيفري 1933 والذي ينص على منع الوعظ في المساجد لغير العلماء المعينين من قبل السلطات الاستعمارية².

تمويل إلى جانب تهميش اللغة العربية واعتبارها لغة أجنبية، بالإضافة إلى الضغوطات الممارسة ضد المدارس القرآنية حتى ينقص من نشاطها، إلا أنها ظلت صامدة.

كانت الأهداف التربوية نفسها لم تتغير طيلة الاحتلال الفرنسي رغم تغيير السياسات التعليمية من مرحلة لأخرى ومن نظام لآخر، وهي التي شكلت المدرسة الفرنسية بالجزائر، والتي كانت مهمتها تحقيق الأهداف الاستعمارية¹.

وقد مر التعليم في الجزائر بثلاث مراحل، حيث تميزت كل مرحلة بنوعية خاصة من التعليم، وبنسبة مختلفة من حيث التحصيل الدراسي للتلاميذ عبر مختلف الأطوار التعليمية، إلا أن الكتابات والزوايا والمساجد كانت متواجدة في كل مرحلة منها، وهذه المراحل هي:

رموز العروبة، وأولها اللغة العربية التي كانت هاجس المستعمر الذي أنكب على تحطيم التعليم وفرسته، وإنشاء جيل فرانكفوني خاضع لسلطة اللسان الفرنسي.

«إن التعليم المسجدي في قسنطينة كان قاصرا على الكبار ولم يكن للصغار إلى الكتاتيب القرآنية، فلما يسر لي الله الانتساب للتعليم سنة 1913 جعلت من حملة دروسي تعليم صغار الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم فكان ذلك أول عهد للناس بتعليم الصغار»³.

من خلال تصريح ابن باديس نستشف بداية النشاط التعليمي في الكتاتيب، حيث كانت تركز على التربية اللغوية للطفل الجزائري، وكأنهم بذلك يتبعون بيداغوجية مبنية على المثل الشائع «التعليم في الصغر كالنقش على الحجر»، وذلك حتى يستقيم اللسان، وترسخ العروبة في السيكلوجية الجزائرية.

لا يمكن التحدث عن الواقع التعليمي في الجزائري إلا بتتبع مراحله الثلاث التي سبق ذكرها، فكل مرحلة رصدت لنا الواقع السوسولوجي الذي عاشته الجزائر، وبهذا ندرك تلك العلاقة الوطيدة القائمة في ميدان التعليم، والظروف الحياتية الأخرى.

2/ ماهية الكتاتيب:

تتعدى السبل التعليمية للغة العربية، من حيث المكان والزمان والهيئة، والكتاتيب هي إحدى السبل الفعالة التي أسهمت في تعليم اللغة العربية، وتقويم اللسان، وخاصة في البلدان التي كانت تحت وطأة الاحتلال، على غرار الجزائر.

مرت الجزائر بحقبة مريرة من الاستعمار والاحتلال، حيث كان الاحتلال الفرنسي يعمل على هدم الكيان الجزائري من خلال محو الهوية العربية، منطلقا من محاولة طمس

اللغة العربية وسيلة حتمية للوصول إلى هذه الغاية.

❖ عمومية التعليم في الكتاب، فلا فرق بين غني وفقير بل هو مكرس لجميع فئات المجتمع

❖ مرونة التعليم في الكتاب، حيث يتمشى مع كل المؤثرات التي يتعرض لها المجتمع.

❖ بساطة التعليم الكتابي، من حيث التعليم والتعلم.

❖ تلازمية الكتاب والريف الجزائري، فهو كان بمثابة المدرسة اللاحكومية، فهو لا يحتاج لمناشير وزارية، ولا لقوانين تعليمية، بل هو تعليم طيع لا يحكمه إلا المعلم الذي ينتهج منهجا عفويا يناسب المستوى الإدراكي لطلابه.

❖ ارتكاز هذا النوع من التعليم على اتجاهات نفسية دينية لدى المعلم

والكتاب وهو مكان من الأماكن الأولية لتعليم الناشئة القرآن الكريم والدين ومبادئ القراءة والكتابة والخط والحساب ويشرف عليها شخص يسمى (المطوع)⁴.

أما الشخص الذي يدرس في الكتاب فيسمى المكتب، كما يلقب أيضا بالمعلم حسبما ورد عن الجاحظ في «البيان والتبيين» وأما الصبي الذي يدرس في الكتاب فيسمى «المحصل» و«طال العلم» و«التلميذ»⁵.

3/ مميزات التعلم في الكتاب:

يتميز التعليم الكتابي بخصائص لا تتواجد في المؤسسات التربوية الأخرى، فهو مبني على نمط إسلامي قائم على إعطاء الإيديولوجيات الدينية كلبنة أساسية لها البصمة الأكبر في تشييد الصرح التعليمي للمتعلم:

❖ تحفيظ القرآن هو الهدف الأول للتعليم في الكتاب، وبالتالي فإن تعلم

في المساجد والكتاتيب يتميز بسمعة تعليمية خاصة، والجزائر على غرار كل المجتمعات كان لها لمسة فريدة في مجال التعليم، فالمتقضي للتطورات الدياكرونية والسانكرونية للحركة التعليمية يجد أن هذه الأخيرة منبثقة من حلقات التحفيز، وجمعيات الكتاتيب التي يتأسسها شيخ فصيح قويوم اللسان.

للكتاتيب دور تاريخي لا يمكن إنكاره في تحفيظ القرآن الكريم وتفسيره، وكذا تلقين اللغة العربية، فعندما أغلقت فرنسا المساجد وعممت تعليم اللغة الفرنسية، كانت الكتاتيب تشتغل خفية ودون انقطاع، لتنجب جيلا حافظا للقرآن الكريم، متميزا من حيث الفصاحة اللغوية، والإتقان لقواعدها وأحكامها، فالغاية الأسى التي هدف إليها الكتاب هي المحافظة على أسس الدين الإسلامي من خلال تحفيظ القرآن.

وهذه الاتجاهات توفر جوا خالصا للعمل والفعالية.

❖ إن الوسائل التربوية المستخدمة كاللوحه، و الحبر المحلي و أدوات المحو... الخ، هي أدوات زهيدة التكاليف، يمكن العثور عليها في البيئة المحلية.

❖ قدرة الكتاب على تربية جيل له مستوى علمي جيد، وخير دليل أولئك العلماء الأجلاء الذي كانت بداياتهم الأولى مرتكزة على التعليم الكتابي⁶.

4/ أهمية والتعليم في الكتاب في تنمية القدرات المعرفية للطفل:

يمثل التعليم المسجدي أهم الديناميات الفاعلة في تنشيط الحركة التعليمية، في كل المجتمعات الإسلامية، بل يمكن اعتبارها الأساس الأول لاكتساب الحس التعليمي، فغالبا ما نجد المتعلم الذي تربص

الكريم، أو أحاديث النبي صل الله عليه وسلم؛ فقد قيل لأنس بن مالك الصحابي الجليل: «كيف كان المؤدبون على عهد الأئمة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم؟ قال أنس: كان المؤدب له أجانة⁷، وكل صبي يأتي كل يوم بنوبته (بترتيبه) ماء طاهراً، فيصبونه فيها، فيمحوون به ألواحهم. قال أنس: ثم يحفرون حُفرة في الأرض، فيصبون ذلك الماء فيها فينشف. قلت: أفترى أن يلعط؟ قال: لا بأس به، ولا يُمسح بالرجل، ويُمسح بالمنديل وما أشبهه. قلت: فما ترى فيما يكتب الصبيان في الكتاب من المسائل؟ قال: أما ما كان من ذكر الله فلا يمحوه برجله، ولا بأس أن يمحو غير ذلك مما ليس في القرآن».

ويمكن تلخيص أهم الخصائص في النقاط الآتية:

بمقتضى هذا الهدف كانت النتيجة الحتمية لإثبات وجودية الأول وتفعيله في الحيز الاجتماعي هو تعليم اللغة العربية التي تعتبر إحدى ثوابت الأمة الجزائرية.

مر التعليم الجزائري بعدة عهود، وتدرج على جملة من المراحل، حيث تعد مرحلة الكتاتيب المرحلة البدائية في نظر البعض، إلا أنها تعد مراكز تعليم النشء أساسيات اللغة العربية والقراءة والكتابة، بل جزءاً لا يتجزأ من المنظومات التربوية التي تنتهج سبلاً بيداغوجية تقوم في غالبيتها على النمط التعليمي الشعبي.

الكتاتيب تؤدي رسالتها التعليمية والتربوية في حدود إمكانياتها المادية والفنية والبشرية وفي ظل وظيفتها الدينية، فقد كان الأطفال في الكتاتيب يُعلّمون احترام اللغة العربية، خاصة إذا كتبوا في ألواحهم آيات من القرآن

❖ فاعلية الكتاتيب في حفظ الهوية الثقافية للتلاميذ.

خاتمة: من خلال البحث نخلص إلى جملة من النتائج أهمها:

1/التعليم في الجزائر مر بعدة مراحل كان للاستعمار دور كبير في تحديدها.

2/الكتاب يمثل أحد الركائز التعليمية التي اعتمد عليها الجزائريون في كل المراحل التاريخية التي مروا بها أثناء وبعد وحتى قبل الاستعمار.

3/بساطة الآليات التي يلجأ إليها كل من المعلم والمتعلم أسهمت في تيسير العطاء والأخذ داخل الحيز اليداكتلي في الكتاب.

4/الكتاتيب موروث ديني واجتماعي في المجتمع الجزائري.

5/تشكل الكتاتيب مرفقا تابعا للمساجد أو الزوايا، أو خيمة في

❖ الروح الجماعية: توفر الكتاتيب لطلبتها العمل في جماعات حيث تميز الجماعة بخلق تفاعل بين الأفراد، وتوفير أهداف مشتركة.

❖ الاشتراك: يتجلى في وجود هدف مشترك بين أعضاء هذه المدارس وتحقيق الانسجام والتفاهم.

❖ التنافس: بما أن هذه المؤسسات تسعى لتحفيز طلابها القرآن، وتنشئهم على جملة من القيم والمبادئ، فإنه من الطبيعي وجود تنافس من قبلهم يسمح بإشغال فتيل المثابرة بينهم، والاجتهاد مما يسهم في تعزيز قدراتهم، وتنمية مكتسباتهم.

❖ للكتاتيب دور تربوي يتمثل في إعداد المنصة الروحية التي تبني عليها شخصيات الجيل.

❖ تنمية مدارك الطفل وتعليمه تعاليم الدين، وتزويده بالقيم الخلقية، والأخلاقية.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1 - آسيا بلحسين رحوي، وضعية التعليم غداة الاحتلال الفرنسي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.
- 2 - بكر اوي عبد العالي، ومرشدي شريف، دور المدارس القرآنية - الكتاتيب- في الحد من ظاهرة العنف، فعاليات الملتقى الوطني حول دور التربية في الحد من ظاهرة العنف، ع04، مخبر الوقاية والأرغنوميا، جامعة الجزائر 02، 7/8/12/2011.
- 3- راجح، تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر.- الجزائر، الشركة الوطنية 1981، ط1..
- 4 - زايد، مصطفى: المؤسسات التربوية القديمة في الجلفة.- الجزائر، مجلة الثقافية، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، ع93 1986.

بادية صحراوية، أو بيتا بأحد الأحياء السكنية، خصص لغرض تحفيظ القرآن وتعليم اللغة والفقه، وتعتبر أحد أهم روافد مدارس التعليم العتيق.

6/ الكتاتيب قد أسهمت بقسط كبير في صيانة الهوية الإسلامية للمجتمع الجزائري.

7/ تمثلت التعاليم الإسلامية واللغة العربية في رحاب الكتاتيب والحلقات التعليمية.

8/ يأخذ الطفل من الكتاتيب قيما روحية تأهبه لحياة اجتماعية سلمية.

9/ تمنح الكتاتيب للطفل أساسيات متينة للتعامل مع الحياة المشتركة داخل الجماعات السوسولوجية والتعليمية.

7- ناصر محمد، الصحف العربية
الجزائرية من 1827 إلى 1939، الشركة
الوطنية، الجزائر، 1980.

5- عبد اللطيف العرابي وآخرون،
معجم علوم التربية، مطبعة النجاح
الجديدة، دار البيضاء، المغرب. ط1،
1994.

6 - الكتاتيب في الخليج العربي -
ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org>, 12/02/2018 14:48



الهوامش:

6 - ينظر: زايد، مصطفى:

المؤسسات التربوية القديمة في
الجلفة.- الجزائر، مجلة الثقافية،
وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر،
ع93 1986، ص.129.

7 - ينظر: بكر اوي عبد العالي،
ومرشد شريف، دور المدارس
القرآنية -الكتاتيب- في الحد من
ظاهرة العنف، فعاليات الملتقى
الوطني حول دور التربية في الحد من
ظاهرة العنف، ع04، مخبر الوقاية
والأرغنوميا، جامعة الجزائر 02،
2011/12/8/7، ص212 - 213.

1 - آسيا بلحسين رحوي،
وضعية التعليم غداة الاحتلال
الفرنسي، جامعة مولود معمري، تيزي
وزو.

2 - ناصر محمد، الصحف
العربية الجزائرية من 1827 إلى 1939،
الشركة الوطنية، الجزائر، 1980،
ص132.

3 - رابح، تركي، الشيخ عبد
الحميد بن باديس رائد الإصلاح
والتربية في الجزائر.- الجزائر، الشركة
الوطنية 1981، ط1، ص.79.

4 - الكتاتيب في الخليج العربي -
ويكيبيديا، الموسوعة الحرة،
<https://ar.wikipedia.org>. 12/02/2018، 14:48.

5 -عبد اللطيف العرابي
وآخرون، معجم علوم التربية، مطبعة
النجاح الجديدة، دار البيضاء،
المغرب. ط1، 1994، ص 16.